

يوم البحرية العالمي لعام 2011

القرصنة : تنسيق جهود المواجهة

رسالة من السيد Eftthimios E. Mitropoulos ،

الأمين العام للمنظمة البحرية الدولية

إن المنظمة ، تجسيدا منها لاهتمامها ال كلى بصون حياة الإنسان في البحر ، اختارت "القرصنة : تنسيق جهود المواجهة" شعارا ليوم البحرية العالمي لهذا العام من أجل تسليط الضوء على الجهود التي بدأت تبذلها منذ عدة سنوات للتصدي للتحديات التي تفرضها ظاهرة القرصنة في عصرنا هذا ، فتتم مواجهتها بشكل شامل وعالمي للقضاء عليها . ويتوخى أيضاً تعزيز العمل ومواصلة انطلاوقاً من شعار يوم البحرية العالمي للعام الماضي ، الذي كُرس للبحارة .

ورفقت المنظمة البحرية الدولية حملة مكافحة القرصنة ، من مطلع الثمانينيات وحتى الآونة الأخيرة ، على المناطق المعروفة التي تشتد فيها عمليات القرصنة وهي مضيق ملقة و مضيق سنغافورة وبحر الصين الجنوبي . وأدى استحداث مجموعة من التدابير وتنفيذها ، بالتعاون الوثيق وال ثمين من جانب الدول الساحلية والدعم ال مطلق من جانب الجهات المعنية بالنقل البحري ، إلى تقليص آفة القرصنة في تلك المياه إلى حد بعيد في وقتنا هذا .

غير أن هذه المشكلة العويصة بدأت تبرز مؤخرًا في أماكن أخرى في العالم ، ولاسيما ، على سبيل الذكر لا الحصر ، قبالة الشواطئ الصومالية وفي خليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي بشكل عام . وأصبحت السفن التي تنقل النفط من الخليج الفارسي وخليج عُمان قريبة من مرأى عيون القرصنة الذين غدوا أكثر جرأة وإقدامًا وعدوانية وعنفًا ويبدون أفضل تنظيمًا من أي وقت مضى .

إن كل هذه المستجدات التي تدعو إلى الاضطراب والقلق لا تجعلنا إلا أكثر تصميمًا على التصدي لهذه المشكلة ، لأننا نؤمن بلبق في وسعنا الاستفادة في هذا المجال أيضاً مما يتيم ، في أماكن أخرى في العالم ، اكتسابه من خبرات وتحويلات من إنجازات للحد من القرصنة ، لكن القيام بذلك يقتضي مواجهة مدروسة ومنسقة .

بالنسبة للصومال ، تقوم القرصنة على الاختطاف وطلب الفدية ، وفي سياق حالات القرصنة هذه التي لا تقفأ تتقلب ، هناك حاليًا عدة مئات من البحارة المحتجزين كرهائن على متن سفن مختطفة ، ويعقون محتجزين لفترات يبلغ معدلها ستة أشهر .

وكشفت دراسة أجريت مؤخرًا عن إحصاءات مريعة ، إذ إنه في عام 2010 وحده ، بلغ عدد البحارة الذين تعرضوا لاعتداءات على أيدي قرصنة استخدموا أسلحة نارية و حتى قنابل صاروخية 4185 بحارًا ؛ احتجز منهم 1090 بحارًا كرهائن واستُخدم 516 آخرون كدروع بشرية . وأفيد بأن ما لا يقل عن 488 بحارًا خضعوا لقدر هائل من التعذيب الجسدي والنفسي .

وعلاوة على تحمّل بحارة أبرياء وطأة هذه الجرائم ، يتكبّد العالم خسائر اقتصادية تقدر حاليًا بما يتراوح بين 7 بلايين و 12 بليون دولار من دولارات الولايات المتحدة سنويًا . ويمكن أن يخسر خليج عدن أهميته الاستراتيجية لأن نسبة كميات النفط الإجمالية المنقولة بحرًا التي تمر عبره تروبو على 12 في المئة ، في حين أن السفن التي تفضّل تحويل مسارها بعبور رأس الرجاء الصالح لحماية نفسها من اعتداءات القرصنة ، تقطع مسافات أطول بكثير تستتبع تكاليف مالية وعواقب بيئية .

لهذه الأسباب كلها ، لم تكنف المنظمة البحرية الدولية بجعل مكافحة القرصنة شعارًا ليوم البحرية العالمي ، بل جعلته أيضًا محورًا لأعمالها في هذه السنة وطالما تفتضيه الحاجة . ولهذا الغرض ، وضعنا خطة عمل متعددة الأوجه لمعالجة هذه

المشكلة على عدة مستويات مختلفة وإنما في صدد تنفيذها بطريقة **منسّقة** - وهذا دليل على أن هذه المشكلة أصبحت مستحكمة ومستعصية لدرجة يتعذر على جهة واحدة حلّها . وإن للأمم المتحدة والتحالفات (السياسية والدفاعية) بين الدول ، والحكومات العاملة جماعياً وفيدلياً ، والقوات العسكرية ، وشركات النقل البحري ، ومشغلي السفن وأطقمها ، دوراً حيويّاً تؤديه لإنقاذ العالم من الخطر الذي تشكله القرصنة في عرض المحيط الهندي .

ولا ينبغي ادخار أي جهد للتخفيف من حدة هذا الوضع غير المقبول . ويجب على شركات النقل البحري الحرص على أن تطبق سفنها بدقة مجمل توجيهات المنظمة البحرية الدولية و أفضل الممارسات الإدارية التي أعدها قطاع النقل البحري ، بحيث إنها ، لدى إبحارها في الجزء الغربي من المحيط الهندي ، تتوّجّى بجمع التدابير الموصى بها : فما من سفينة بمنأى عن الخطر ، ولاسيما السفن المنخفضة العائم والبطيئة السرعة نسبيّاً . ويلزم على الحكومات تجسيي مدى قلقها من هذه الحالة ، الذي أعربت عنه مراراً وتكراراً ، بتخصيص الموارد العسكرية وسائر الموارد التي تتناسب ، على مستوى الكمية والتكنولوجيا ، مع حجم المشكلة وتكون قادرة عمليّاً على مواجهتها بفعالية .

وإن المنظمة البحرية الدولية ، مع أنها جعلت من نفسها مصبّاً للجهود المنسّقة التي تُبذل ، لا تستطيع وحدها توفير حل فوري لهذه المشكلة - خصوصاً أن القرصنة ، لأن كانت ظاهرة تتجسد بحرّاً ، هي مشكلة يتعيّن معالجتها بأساليبها الجذرية برّاً . ومع ذلك ، نحن على ثقة بأننا ، عبر خطة عملنا ومبادراتنا وبالتعاون مع سائر الجهات المهمة التي تشاركنا عزمنا والتزامنا ، قادرون على إحداث فرق حيث تشدّد حدة المشكلة أكثر ما تشدّد - أي في البحر .

وفي الوسع التأكيد أنه تم تحقيق بعض النجاح في كبح اعتداءات القراصنة ، وهذا ما يشهد عليه انخفاض نسبة الاعتداءات الناجحة . غير أن أعمال القرصنة والسطو المسلح ضد السفن ، على غرار ما تشير إليه الإحصاءات ، ما زالت للأسف تشكّل خطراً داهماً وحقيقيّاً يهدد كل من يستخدم البحار لأغراض سلمية . وما دام القراصنة ماضين في الاعتداء على النقل البحري وفي اختطاف السفن والبحّارة ، لا تمثل النتائج التي حقّقناها حتى تاريخه مصدرّاً لاعتزازنا ورضانا .

وإذا أُريد تحقيق الهدف النهائي المتمثّل في جعل القرصنة جزءاً من الماضي ، يتعين القيام بالمزيد ، ولاسيما القبض على جميع الضالعين في أعمال القرصنة ومحاكمتهم ومعاقبتهم ؛ وتنشيع حركة الأموال التي تُدفع كفدية ؛ ومصادرة عائدات الجريمة التي يتم جنيتها من اختطاف السفن . وإنما نأمل أن يشرئل الشعار الذي اخترناه لعام 2011 نقطة استقطاب مناسبة يمكن لكل الذين في وسعهم إحداث فرق تركيز جهودهم عليها .

وفي هذه الأثناء ، نحن لا ننسى ، في دعائنا وصلواتنا ، أولئك البحّارة المحتجزين في الوقت الحاضر لدى القراصنة . ونأمل أن يُطلق سراحهم جميعاً بخير وسلامة وأن يعادوا عما قريب إلى كنف أسرهم .